Revue Internationale de Recherche Scientifique et Etudes Doctorales,
ISSN 2665-8763, 2026, Vol.6, N°2

في أنثروبولوجيا الماء: البناء السوسيوثقافي لعنصر الماء في الواحات المغربية

واحة فركلة بدرعة تافيلالت نموذجا

صباح حمداوي د.محمد دحمان

التكوين في الدكتوراه: التاريخ والمجتمع في الحوض العربي للبحر المتوسط حتى الفترة المعاصرة

المختبر: إنسان، مجتمعات وقيم كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة ابن طفيل

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى تفكيك العلاقة بين الماء والمجتمع الواحي، ليس فقط كون الماء موردا ماديا، بل يتجاوز ذلك إلى كونه بناء اجتماعيا وثقافيا في واحة فركلة بدرعة تافيلالت. يرتكز بذلك على تحويل الإنسان الواحي لعنصر الماء إلى موروث لامادي ذو أبعاد متعددة عبر الأنظمة التقليدية والطقوس والمعتقدات.

ومن خلال دراسة ميدانية اعتمدت على المقابلات النوعية لجمع المعطيات الميدانية، يحلل المقال انعكاسات الإنتقال من الماء المادي إلى الماء الرمزي على الأبعاد السوسيوثقافية والإقتصادية. إذ خلصت الدراسة أن الماء في ثقافة الإنسان الواحي الفركلي يشكل نسقا رمزيا متكاملا يتداخل فيه الطبيعي بالاجتماعي، والمقدس بالمدنس، والديني بالطقوسي.

الكلمات المفتاحية: واحة فركلة، التنمية المحلية، الماء الرمزي، المخيال الواحي.

This paper attempts to analyze and break down how the oasis community views water, not only in terms of being a physical resource but also as something that has developed into a socio-cultural construct and how this has occurred in relation to Ferkla Oasis, located in the Drâa-Tafilalet area of Morocco. The community has changed the nature of water from being completely natural, to becoming an item of intangible cultural heritage. The intangible heritage created from water has (generally) had three different social and cultural symbolic aspects; those being traditional methods of managing water, rituals involving water, and belief systems shared amongst the community regarding the management of water, all of which resulted in the intangible cultural heritage associated with water.

In conducting the research, a qualitative approach to fieldwork was used to gather primary data through semi-structured interviewing methods to assist with identifying the research question. The focus of this investigation is to identify implications associated with the transition of water from physical resource to a symbolic entity using socio-cultural and economically focused perspectives. The cultural framework indicates that water is an integrated symbolic system for the Ferkla oasis community; therefore, natural and social elements, sacred and mundane, as well as, religious and ritual can be traced through the integrated symbolic system of water. Water plays a key role as both an important resource for sustaining life and a vital element of the Ferkla oasis community's cultural identity, societal structure, and collective memory.

Keywords : Ferkla Oasis, Local Development, Symbolic Water, Oasis Imaginary.

تقديم:

لا يمكن للإنسان أن يعيش في عالم فسيح دون نسق ثقافي يشمل الرموز والقيم، فالرمز هو الذي يربط الإنسان بعالم الموجودات المحسوس، وعالم الماهيات والماورائيات، فدور الإنسان في الحياة لا يقتصر فقط على إنتاج الغذاء لضمان البقاء، أو التناسل من أجل التكاثر والعيش في حياة جماعية. ''إنّه يتوقف

أيضا على تقديم أجوبة وتفاسير للألغاز الكثيرة في هذه العوالم''[1]. فالعالم الذي نتواجد فيه يشمل العديد من الظواهر الطبيعية التي يحولها الانسان على شكل معاني ودلالات ونسج خيوط ثقافية إلى عوالم رمزية يصعب فهمها للوهلة الأولى، ولعل محاولة الانتقال من عنصر الماء في المجال الواقعي أو المادي إلى المجال الرمزي الثقافي، يشكل إحدى المواضيع التي تتطلب منا التفكير فيها كظواهر سوسيوثقافية.

لقد تعاطى المخيال الثقافي الانساني مع الماء ورفعه من الشيء الطبيعي إلى الكيان الرمزي والثقافي، أي أنه استطاع أن ينقل العلاقة المرتبطة بالماء في بعده الواحد " الماء كما هو ماء"، والذي يبدو واضحا في الميدان" إلى الماء كمتعدد الأبعاد. فهو يشكل أحد الموارد "الأكثر ارتباطًا" وأن قدرته على "وضع علاقة" في أشكال مختلفة (دينية، سياسية، صراعية) في أي مجتمع تاريخي أو معاصر. وبالتالي، فإن الماء يتجاوز إلى حد كبير أهميته كمورد مادي، والتي تفترض وتكشف عن مجتمع متعدد الأوجه من العلاقات الاجتماعية وتشكل معالم للباحث اليقظ لفك ديناميات الاندماج الاجتماعي لهذا العنصر.

فالسؤال الذي يمكننا العمل عليه هنا هو ماذا يمكن أن نضيف لهذا الكم الهائل من التصورات والمعتقدات من الحكايات والأمثال الشعبية والأشعار التي حاكاها وعي الإنسان الواحي حول الماء؟ وهل هناك ما أضافته الثقافة الواحية إن صح القول لعنصر الماء؟ كيف يمكننا الانتقال بعنصر الماء من وضعه المادي إلى كيانه اللامادي؟ وكيف ينعكس هذا الأمر على الأبعاد السوسيوثقافية والاقتصادية في الواحة؟

الحدود الانثروبولوجية للمجال المدروس:

إن محاولة تحديد المجال المدروس من الجانب الانثروبولوجي ليس بالأمر الهين، فالعديد من الدراسات والبحوث تذهب إلى رسم الحدود انطلاقا من الزاوية المؤسساتية أو الجغرافية. في حين أن للانثروبولوجيا جوانب مهمة لتحديد المجال، غير تلك التي تذهب إليها تخصصات مغايرة. وتتخذ الأنثروبولوجيا من العناصر الثقافية مداخل لتحديد المجال، أي أن الأمر يختلف تماما عما ترسمه الأبعاد الادارية والمؤسساتية. ويشترط في هذه العناصر المكونة للثقافة أن ترتبط بالمجتمعات المحلية. سواء تعلق الأمر بالعادات أو القيم أو الحكايات الشعبية أو الأرض أو ما تتميز به المنطقة كخصوصية ثقافية... وفي ذات السياق نرى أن الأرض هو الأقرب إلى تحديد مجال الدراسة في هذا السياق، انطلاقا من معنى ودلالة كلمة فركلة إذ يشير

[1] لحسن آيت الفقيه إملشيل، جدلية الانغلاق والانفتاح، ضمن إصدارات مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، يوليوز 2001، ص47

العربي مزيان[2] أن أصل تسمية فركلة يحتمل أن تكون مكون من شقين ''افر '' بالامازيغية والذي تعني اختبأ ثم ''اكال'' بمعنى التراب، وبالتالي تعني كلمة فركلة هي مرادف لاختبأ التراب، وبناء عليه نستشف مدى أهمية التراب في هذا المجال خاصة إذا ما علمنا أن التراب أو)الأرض(هو أول ما يملكه الانسان الواحي وآخر ما يفكر في بيعه.

ونظرا للعلاقة القوية الرابطة بين الانسان والأرض في هذه المجالات، فإن كل من واحة فركلة وغريس وتودغى...، تضم عناصر ثقافية متشابهة، وبالإضافة لمدخل الأرض نجد أن البناء الثقافي للماء، يضم قيم مشتركة وأنظمة تقليدية ومعاصرة مترابطة، سواء تعلق الأمر بالتدبير الاجتماعي للماء أو بالوسائل التقليدية التي استعملها انسان الواحة لجلب الماء كالخطارات والسواني "أغرور" والسواقي.

إذن، من الصعب الاطمئنان للحدود المؤسساتية نظرا للتشابهات الثقافية التي تعرفها هذه المناطق، لكن هذا الأمر ليس مبررا لتجاوز المداخل الجغرافية للمجال، أو اختزال المقاربة المجالية انطلاقا من زاوية واحدة.

عموما، تنقسم واحة فركلة أو تنجداد إداريا، إلى ثلاث جماعات ترابية (الجماعة الترابية تنجداد، الجماعة الترابية فركلة العليا، الجماعة الترابية فركلة السفلى)، وتنتمي واحة فركلة أو منطقة تنجداد إلى إقليم الراشيدية بجهة درعة تافيلالت في المغرب، وهي من بين الواحات الثلاث الكبرى منطقة تافيلالت وتخترقها ثلاثة أودية، واد تانكارفا من الشمال وواد فركلة الذي أخذت منه الواحة هذه التسمية ثم واد السات جنوبا. ويلاحظ أن سكان واحة فركلة عامة بدأ اتساعهم مؤخرا إلى المجال الشبه حضري نظرا للعديد من الظواهر التي حلت بالقصر أو ''إغرم'' بالأمازيغية، كتوالي سنوات الجفاف والانفجار الديموغرافي الذي لم يعد القصر يستوعبه وكذا الفيضانات التي هدمت هذا النمط السكني.

أما بخصوص عدد الساكنة حسب إحصاء الساكنة لسنة 2014 والذي يقارب 43.980 نسمة، موزعة على ثلاث جماعات ترابية التي سبق لنا ذكر تفاصيلها.

[2] Mezzine, Larbi : « Le Maroc du sud-est de 1631 à 1012 » thése de doctorat d'état, tom II université de paris I panthéon Sorbonne, 2007, p : 153 Bibliothéque du centre des études africaines.

الجماعة الترابية	عدد الأسر	عدد السكان
الجماعة الترابية فركلة السفلى	**1925**	**12328**
الجماعة الترابية فركلة العليا	**3573**	**22722**
الجماعة الترابية تنجداد	**1691**	**8930**
المجموع	**7189**	**43980**

المصدر :الموقع الرسمي للمندوبية السامية للتخطي2019

عنصر الماء من المجال المادي إلى المجال الرمزي :

إنتهى العلماء في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، بعد طول تأمل وتفكير إلى أن العالم مكون من أربعة أشياء، وهي الماء، التراب، الهواء، والنار'' وأن وجود الاختلاف في نسب هذه العناصر يجعل الانسان إنسانا، والحجر حجرا[3]. وجرت العادة أن المغاربة وربما جميع مدن العالم أنهم يبنون قراهم ومدنهم غير بعيد عن مورد دائم للماء، فيضمنون لها موقعا استراتيجيا يشرف على السهل ويُمكّنهم من التحكم في ممرات لها موقع استراتيجي يشرف على السهل ويُمكّنها من التحكم في الممرات والاحتماء بالجبل الذي يكون خلفيتها الاحتياطية الغنية، وعلى هذا النمط ظهرت واحة فركلة الكبرى التي نسجت خيوط استقرارها على ضفاف مجموعة من الموارد المائية، منها الأودية وتشييد الخطارات وحفر الآبار وعينة من العيون أو الينابيع المائية، وهو نفس الأمر الذي تناولته مدرسة شيكاغو حينما فسرت استقرار الانسان في مجال ايكولوجي معين.

لقد تعاطى المخيال الثقافي الانساني مع الماء ورفعه من الشيء الطبيعي إلى الكيان الرمزي والثقافي، أي أنه استطاع أن ينقل العلاقة المرتبطة بالماء في بعده الواحد " الماء كما هو ماء"، والذي يبدو واضحا

[3] لوراس ميلن وماجيري ميلن, الماء والحياة، ترجمة ثابت قصب يحيى وعياد بباوي، مؤسسة العرب، ط الأولى, القاهرة 1966،ص5 .

في الميدان"[4] إلى الماء كمتعدد الأبعاد. فالماء يشكل أحد الموارد "الأكثر ارتباطًا" وأن قدرته على "وضع علاقة" في أشكال مختلفة، في أي مجتمع تاريخي أو معاصر. وبالتالي، فإن المياه تتجاوز إلى حد كبير أهميتها كمورد مادي، والتي تفترض وتكشف عن مجتمع متعدد الأوجه من العلاقات الاجتماعية وتشكل معالم للباحث اليقظ لفك ديناميات الاندماج الاجتماعي لهذا العنصر[5].

فحينما نسائل مجتمع واحة فركلة وما وحد البشرية جميعا، يجيبون أن الماء مصدر الوجود الانساني، وهذا الأمر ليس بالشيء الجديد. وما يبرّر هذا الطرح هو قول ''طاليس''، أنّ الماء أصل الكون، وأنّ النبات والحيوان يتغذّيان بالرطوبة، ومبدأ الرطوبة الماء، وبالتالي ما منه يتغذى الشيء، فهو يتكون منه بالضرورة، وقال إنّ الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحد الذي تتكوّن منه الأشياء. كما أن الماء بمثابة الوقود الذي يحرك الواحة، وهو العنصر الذي تناطحت عليه الاثنيات المحلية ولازلنا إلى حدود اليوم نلامس رواسبها الثقافية سواء بوعي أو بدون وعي.

ومنذ زمن بعيد، قامت ساكنة فركلة بتطوير ثقافة مبنية على احترام البيئة وتقديسها وخاصة المياه التي مكنت من تعميق العلاقات الاجتماعية بين الساكنة بقصور واحة فركلة عامة وقصر الخربات تحديدا (أحد القصور في مجال الدراسة) إذ نجد في ذات المكان عين تسبلباط وهو مجال تُحُجُّ إليه النساء لممارسة بعض العادات والتقاليد التي هي مرتبطة بالموارد المائية.

وتقول الرواية الشفهية أن أحد الرجال في وقت مضى وبالضبط يوم الجمعة، في الوقت الذي كان يطارد حصاناً لاذ له بالفرار باتجاه القمة الجبلية لتسبلباط، نتج عنه سقوط هذا الحصان في بِركة مائية **étang** (وهي بِركة متواجدة في قمة جبلية) بيد أن إصرار الرجل على الإمساك بالحصان جعله يتبعه إلى البركة، فكانت النتيجة أن ابتعلت المياه ذلك الرجل قاذفة به إلى منطقة تافيلالت، ما نتج عنه اعتقاد في

[4] Barbara Casciarri et Mauro Van Aken, ''Anthropologie et eau(x) affaires globales, eaux locales et flux de cultures'', Association française des anthropologues, journal des anthropologues, 18 juillet 2013, p16.
[5] Ibid, p 20.

القداسة التي تتضمنها مياه هذه المنطقة، وقدرتها على تكوين مختلف المعتقدات الاجتماعية والصحية والاستشفائية، وسار مزارا نسائيا بالدرجة الأولى.

هذا المجال يبني علاقة ثقافية مقدسة من وجهة نظر الزائرات، تقوم النساء اللواتي يزرن هذا المجال كل يوم الجمعة وتحديدا وقت إعطاء خطبة الجمعة في المساجد، إذ يكون جل الرجال هناك في المسجد ولم يبقى أي احتمال لرؤية هذه الطقوس التي لها علاقة بالعنوسة وطلب الزواج حيث يأتين بالهدايا، وتتدحرج النساء في منحدر فوق قمة الجبل، هذه المنطقة ستصبح فيما بعد عبارة عن مكان يلتقي فيها العشاق وتحضيرهم للزواج، هذا الأخير يستمر لأسبوع وتقوم العروس بتوزيع اللوز ورميه في الساقية وهي علامة بَرَكة المياه.

يشكل مجال تسبلباط الذي يعني بالأمازيغية "أسبلباط" أي فوران المياه، مجال يتواجد في قمة جبلية بمنطقة فركلة وتحديدا قصر الخربات 'لْخْرْبَاتْ' ويعود اشتقاق هذه الأخيرة حسب الرواية الشفهية إلى " الخير–بات – الخربات" أي دوام الخيرات الطبيعية التي كانت تتميّز به هذه المنطقة قديما وبشكل أقل اليوم، هذه القمة الجبلية تحتوي على بِركة مائية تشكل مزاراً طقوسياً بامتياز، ينفرد باحتضانه لمجموعة من الممارسات والمعتقدات الشعبية المغلفة بالرُّموز وبحضور كبير لمجموعة من المفارقات على مستوى التمثل الجماعي لمجموعة من الظواهر الاجتماعية خاصة ذات البعد الديني، على اعتبار أن "تسبلباط" تعكس صورة فسيفساء طقوسية تجمع بين الدين كشريعة وكعقيدة رسمية وبين التدين كفهم "للمجتمع الفركلي" لهذه العقيدة وممارستها في إطار علاقته بالعالم الخارجي الطبيعي وما فوق الطبيعي.

تَتَدحرج الفتاة فوق الجبل مغطية جسمها كاملاً بملحف حتى لا تستطيع التعرف على المناطق المجاورة أثناء التدحرج حاملة معها قصدية الزواج، أو بصيغة أخرى أن الزاوية التي يتجه إليها رأس المتدحرجة في آخر الممارسة الطقوسية في مكان مخصص لهذا المعتقد في أعلى الجبل يسمى ذلك المكان "السعد" أو المكان الذي ستتزوج إليه الفتاة[6] .

هذه العلاقة بين هذين الحقلين المعطى الطبيعي في علاقته بالمعطى الثقافي، يشكلان من حيث المظهر ظاهر اجتماعية تثير انتباهنا كملاحظين، عن كيفية الرهان عن هذا الجانب الثقافي من أجل تنمية المنطقة،

[6] نعيمة، 30 سنة، أنثى، ربة بيت، مقابلة شخصية 2019/08/02

كنا نجد أنفسنا أمام صعوبة رسم الحدود الفاصلة بين فعل القداسة وفعل الدناسة، ثم كون هذا الموضوع متشعب ومتداخل، فالماء له خاصيات متعددة، طبية واجتماعية ودينية، وكل هذه الخصائص تجتمع وتتكامل ومن الصعب الفصل بينهما[7]، خاصة في حالة ربطناها ببنية الزمان في هذا السياق التي تقام فيه هذه الممارسات الطقوسية (وقت صلاة الجمعة) وهو ما يبين ارتباطه بقداسة الزمن، وببنية المكان الجغرافي التي يحتضن هذه الممارسات. ما يعني أن طابع التركيب والتعقد الذي يكتنف هذه الأجواء الطقوسية، يُحتم علينا ضرورة الاعتراف بأن التحليل في هذا المقام هو طقوسي.

إن السؤال الذي نطرحه هنا حول ما إذا كانت فئات معينة تعطي المثقفين دوراً في هذه الممارسة الثقافية باعتبار التأثير الثقافي سواء كان ذاتيا أم موضوعيا[8]، أي ألا يتحول هؤلاء الممارسين إلى "دمى ثقافية" يتم السخرية منها من قبل فئة معروفة والتي من شأنها ومصلحتها إبقاء هذه الممارسات على حالها بل أكثر من ذلك تسعى إلى دعمها، رغم أن هذه الطقوس بدأت تندثر مؤخرا حسب أقوال بعض الزائرات اللواتي يزرن المكان أكثر من ست سنوات، صرّحن بأن هناك تراجع النساء والفتيات على هذه الطقوس وعلى زيارة المكان، خاصة بعد تأهيل الطريق إلى هذا المكان من طرف مؤسسة أجنبية.

فتقديس الماء ليس وليد هذه المجتمعات ولا بقريب أيضا بل هو يعود لفترات عريقة في التاريخ، وقد احتل اليونانيون مكانة هامة في هذا المجال حيث قدسوا المياه سواء كانت ساخنة أو باردة، وعبروا عن ذلك بواسطة تقديم الهدايا والقرابين للآلهة وخاصة الإله بوسيدون '' نبتون الروماني'' والحوريات **Nymphae** وربة النافورة **Fons** ثم سار الرومان على نهجهم وقدسوا نفس الآلهة مع إعطائها أسماء تتطابق وحضارتهم[9]. وفي منطقة برلين بفرنسا لوحظ فائدة تنظيم البرك المائية في سلاسل والعادات،

[7] عبد العزيز بل الفايدة، الماء بين المقدس والمنفعة العامة في شمال افريقيا ما قبل الاسلامية على ضوء النقائش، ''الماء في تاريخ المغرب'' جامعة الحسن الثاني عين الشق : منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، 1999، ص33

[8] بوعلي ياسين ، ينابيع الثقافة ودورها في الصراع الاجتماعي، الملتقى، الطبعة الثانية 2006، ص34.

[9] عبد العزيز بل الفايدة، الماء بين المقدس والمنفعة العامة في شمال افريقيا ما قبل الاسلامية على ضوء النقائش، ''الماء في تاريخ المغرب'' جامعة الحسن الثاني عين الشق : منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، 1999، ص34

وأنشأوا لأنفسهم وفقا لقانون السيادة "يمكن لأي شخص أن يصنع بركة ماء، شريطة أن يكون ذلك الأمر لا يمسّ بحقوق الرب والآخرين"[10]

وقد كان الشعب اللوبي كغيره من الشعوب يقدس الماء منذ القديم سواء منه ما تدفق على الأرض من ينابيع صالحة للشرب أو ما كان معدنيا صالحا للاستشفاء والاستحمام[11]، كما أنه يمكن اعتبار هذه النماذج تدل حسب بول باسكون، على تداخل متنافرة من الممارسات الطقوسية، وأنساق الاعتقاد السابقة على التوحيد، ودين منزل ـ هو الاسلام ـ واحترام للعلم الحديث[12].

إن هذا المجال اليوم ذو الامتداد التاريخي وذو الغنى الثقافي لم يتم استثماره في البعد التنموي، بالرغم من كون المنطقة تتميز بهذه الموارد الثقافية المتعلقة بالماء على مستوى الطقوس والعادات والأنظمة الرمزية التي نسجها انسان الواحة حول الماء بما فيها الشعر والقصص القصيرة وأنظمة محكمة لتدبير الماء وكذا تلك الأدوات التقليدية المنظمة لشؤونه اليومية، لازالت المنطقة تعاني من هذه المشاكل التنموية، وبدون المدخل الاثروبولوجي وباقي التخصصات كالاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم السياسة والجغرافية... أو ما يمكن أن نجمعه في مقاربات متعددة أو متعدية، فيصعب في الحقيقة إيجاد حل أنسب للنهوض بالشأن التنموي بالمنطقة.

[10] Bédoucha G., 2011, *Les liens de l'eau. En Brenne, une société autour de ses étangs*, Paris, co-édition QUÆ Éditions et Editions de la Maison des sciences de l'homme, collection Natures sociales, 688 p2.

[11] المحجوبي عمر، المياه والديانات الوثنية في المقاطعات الافريقية، ملتقى زغوان حول المحيط والمياه، المياه والانجراف بولاية زغوان، تونس 1984، ص131 .

[12] باسكون بول، ''الأساطير والمعتقدات بالمغرب''، مجلة بيت الحكمة، السنة الأولى، العدد الثالث، أكتوبر 1986 الطبعة الثالثة، ص 83.

الصورة رقم1: منقطة تاسبلباط بواحة فركلة

عمل ميداني غشت 2019

وامتد موضوع الماء إلى الكتب السماوية التي منحت الماء دائما مقاما مقدّسا ومدنّسا في الآن ذاته، وأعطت له قيمة في الربط بينه وبين الأرض في مختلف الأساطير التي نسجها الإنسان حول نشوء الكون وولادة العالم (الأساطير النشوئية)، ثم الحياة والعقاب والإيمان "ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة، أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قالوا: إن الله حرمهما على الكافرين" (الأعراف، 50)، "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" (الأنبياء، 30). وقد جاء في سفر التكوين [13]" في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه (...)، وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين المياه والمياه[14]

فالماء يتواجد طبيعيا بالواحة على شكل مياه جوفية وسطحية، أما هذه الأخيرة غالبا ما تكون موسمية وتتواجد على شكل أنهار غير منتظمة، في حين تشكل المياه الجوفية قاعدة للانتظام الوجود البشري في الواحة من خلال مجموعة من الأنظمة الاجتماعية المحكمة، كالخطارة وجلب الماء من الآبار كما أنها

[13] أول أسفار التوراة (أسفار موسى الخمسة) وجزء من التوراة العبرية كما أنّه أوّل أسفار العهد القديم لدى المسيحيين.

[14] مقدّمة سفر التكوين، الإصحاح الأول، التكوين الأول، ص22.

تشكل مصدرا للصراعات الاثنية والتشنجات السياسية ورمزا لامتلاك السلطة. ''خاصة وأن الماء كان عنصرا وأداة ووسيلة عسكرية في تاريخنا، الذي يعرف بكثرة المعارك والحروب والصدمات المسلحة، إلى درجة قد تبدو معها الملاحم والبطولات والمواجهات العسكرية سمة غالبة عليه''[15]

إن الانسان يعيش واقعه الرمزي من خلال الوقائع المادية التي شيدها عبر التاريخ، على اعتبار أن الوفرة وندرة الماء في الواحة اجتماعيا، مرتبطتان بالعديد من الأبعاد الثقافية التي بها يفسر سكان الواحة ندرة الموارد المائية التي تلاحق هذه المناطق، فالحدس باعتباره شعورا عاطفيا مدنسا في المخيال الثقافي، يشكل معيارا لتبرير واقع الندرة التي تعاني منه المنطقة ''الحسد ايسرون أمان ك تمازيرت'' بمعنى أن انتشار الحسد هو سبب ندرة الموارد المائية بالواحة، فكُلما انتشر الحسد في مجال معين كلما حلت بذات المجال ''مصيبة الله'' على اعتبار أن الحسد لا يرضي الله، وبالتالي لمعاقبة ذات المجتمع على هذه الخاصية المدنّسة التي لا يجب أن تكون، يلجأ الله إلى نزع عنصر الماء أو نعمة الماء بتعبير ذات المجتمع، وهو نفس الأمر بالنسبة لمفاهيم مرادفة ك ''لكره '' **أو الكره والنفاق ''أُونَاكإنا لْكْرَهْ أُور تْكّيد أداسْ إفْ رْبي أَوْدْ ييوت نْعمت ن وَامَان''**، ومعنى ذلك أن من يكره الناس لا يوهبه الله نعمة الماء، فهذه المفاهيم وغيرها تتواجد في المخيال الثقافي لسكان الواحة. وهذا الأمر لا يمكن أن يؤسس إلا لمجتمع واحاتي يسوده التضامن والتعاون.

وفي ذات السياق، ترجع أغلب أساطير المجتمعات البشرية القديمة أصل الكون والحياة وجميع أصناف المخلوقات إلى 'الماء'، وتُعبّر عنها داخل بنى معرفية أسطورية منتشرة منذ القدم، فأشكال المعتقد والموروث الشعبي المتصل بالماء، تترجمه كمضامين دالة على موضوع المقدس والخصوبة والحياة والموت، خصوصا أنه كان موضوعا للعبادة عبر طقوس تبجيل وتقديس آلهة الماء، التي تعددت ما بين آلهة البحار والهة الأنهار والهة الآبار والمغارات المائية إلى غير ذلك من المجالات المائية المقدسة، التي لا زالت تحظى بنفس التقديس لهذا العنصر ولمنابعه ورموزه الأسطورية القديمة"[16].

---

[15] ذ.محمد استستو، الماء في تاريخ المغرب: أية علاقة؟، سلسلة الندوات رقم 10في موضوع ''الماء في تاريخ المغرب'' جامعة الحسن الثاني:عين الشق منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ، 1999 ص177.

[16] حنان حمودا، "الماء كمنشط أنثروبولوج لانتاج الطقوس بواحة بوسكورة جنوب المغرب" , موقع انتروبوس (بالتصرف) http://www.aranthropos.com

وبناء عليه، يكون الرمزي أكثر واقعية في هذا السياق، فإذا أمكننا الحديث عن الواقع المادي للماء بصيغة المفرد (رغم الاشكال التي يتخذخها)، فإن التمثل للماء لا يمكن أن يكون إلا متعددا ومتنوعا. وإذا أمكننا اعتبار القوانين الطبيعة تسمح أن نتكلم عن الماء كمادة وكعنصر يحمل خصائص موحدة ويخضع لقوانين طبيعية كونية، فإننا نجد مجموعة من الخصائص المتعددة)طبية ونفسية واجتماعية(... وكل هذه الخصائص تجتمع وتتكامل''[17]

فتمثلات الانسان للماء بهذا الفهم، لا يمكن أن تكون إلا متعددة ومتغيرة وهي تتلون وتتعدد بتعدد الثقافات والسياقات والأزمنة والأمكنة. وبالتالي نكون قد انتقالنا بالماء كإدراك حسي أو تلك المعرفة المباشرة للأشياء عن طريق الحواسّ إلى الإدراك الذهني اي معرفة الكُلّي من حيث إنّه متميّز عن الجزئيّات التي يصدُق عليها وهو درجة سامية من الإدراك والتَّصوُّر[18].

إن الماء في الثقافة الواحية لا يعزو فقط إلى تلك المنابع والأنظمة الاجتماعية في بعدها المادي المعروفة (الخطارات الابار، السواقي...) وإنما تمتد أيضا إلى **métalangage**'' أي تلك اللغة المتعالية. فرحلة الانتقال من اللغة الطبيعية للماء إلى اللغة الرمزية أو من اللغة العادية الى اللغة المتعالية على اعتبار أن المجال الرمزي هو مجال لتراكم التمثلات الاجتماعية هي رحلة الكشف عن ما يشغل التفكير أو نظرة الانسان إلى عالمه المعيش بلغة التأويليين.

ويبدو ذلك من خلال العديد من المزارات المائية بواحة فركلة (كمجالي تسبلباط ولالة ميمونة وعينة من الاضرحة والزوايا...) التي احتك بها الانسان في هذا المجال، والتي كانت تشكل مزارا طقوسا بامتياز... فهي مجالات تقصدها النساء والرجال أحيانا للزواج أو التخلص من شبح العنوسة والشفاء من الأمراض...، كما يشكل الشعر الامازيغي، هوية ثقافية وذاكرة جماعية، وهو أغنى عناصر الأدب الأمازيغي وأكثرها التصاقا بواقع الحياة والمجتمع، لكونها تتناول مواضيع مرتبطة بالحياة اليومية، فالشعر في هذا السياق لا يمكن أن يكون سوى انعكاس للحياة اليومية ولهموم الساكنة.

---

[17] ذ.عبد بل الفايدة العزيز،''الماء بين المقدس والمنفعة العامة في شمال إفريقيا ما قبل الاسلامية على ضوء النقائش''، ''الماء في تاريخ المغرب'' جامعة الحسن الثاني عين الشق: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، 1999، ص33)بالتصرف(.

[18] معجم المعاني الجامع، اللغة العربية المعاصرة، الرائد ،لسان العرب ،القاموس المحيط. قاموس عربي عربي.

Ona Yrra Rbi Dasisnom Ray *** M9ar yoni s**

.

الخلفيات السياسية والسوسيوثقافة لتدبير للماء:

يشكل التدبير الاجتماعي والثقافي للماء، سياسة وتنظيم سوسيوثقافي يهتم بتنظيم الحياة الزراعية للسكان الواحة، عبر وضع أعراف وقوانين تنظم كيفية توزيع الماء على المالكين للماء، كما يعرف التدبير الاجتماعي للماء بأنه بناء اجتماعي **Construction social** يتم انتاجه تاريخيا فهو كما قلنا سابقا ينطلق من وجوده المادي المحسوس إلى كيانه الرمزي. لكنه ليس بناء مغلقا ولا معزولا عن المؤثرات الأخرى...فهو ''دراسة شبكات الري التقليدية انطلاقا من الممارسات المجالية للفلاحين بهدف فهم أسس النجاح والإخفاق في صيرورة تنمية السقي والصرف، والتفكير في الأشكال الممكنة لتدبير الثروة المائية في الدوائر السقوية العصرية والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة''[19]. وفي هذا السياق يرى ''بول كلافال '' أن التدبير الاجتماعي للمسألة المائية يشترط تحقيق نوع من التوازن بين الحاجيات والامكانات في الزمن والمكان، ويستند التدبير الاجتماعي للماء على مجموعة من المبادئ :

الصدق وعدم التمييز

تقسيم العمل على الفاعلين المكلفين بالإنتاج أثناء السقي.

سلطة الماء تضمن عدة وظائف: تقسيم الماء

إن ديموقراطية الماء، رغم أن وجود إجراءات عرفية تسبق توزيع الماء، فإن تملكه الحقيقي يعزو إلى تنافس مفتوح حوله ونتائج علاقات القوة والسياسة والتضامن، بمعنى أن التوفر على حقوق الماء يقتضي التوفر على القوة للدفاع عنه.

[19] مهدان امحمد، الماء والتنظيم الاجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، جامعة ابن زهر- أكادير، 2012. ص 22.

ويشكل قصر أسرير بواحة فركلة بإقليم الرشيدية، برهانا تاريخيا ومظهرا للتراتبية الاجتماعية والقوة لامتلاك الماء والأرض، ولامتلاك هذين الأخيرين لابد من امتلاك السلطة السياسة والقرار السياسي، لدى ليس من الغريب اليوم أن نجد أكبر ملاك الأراضي في قصر أسرير وهم نفس ''الاخس'' الذي كان يمتلك السلطة السياسية في عصور مضت وتحديدا في شخصية ''القائد موح'' الذي حكم المنطقة. أضف إلى ذلك الصراع السياسي الاثني العنيف حول الماء، ونخص بالذكر كل من قصور (أسرير وتغفرت والخربات...). حيث كان امتلاك الماء هو بمثابة امتلاك زمام واحة فركلة، وإن الصراعات الاجتماعية عبر التاريخ بين العالية والسافلة... في أحد مستوياتها كانت حول الماء وتمتد اليوم على شكل رواسب ثقافية تتمظهر في السلوك الانتخاب والزواج المحظور بين الاثنيات المختلفة.

إن الغاية من جرد هذه الأحداث ليس إحياء الصراع الاثني العنيف أو ما شابه ذلك ـ بالرغم من أننا ما زلنا نعيش رواسبه اليوم ـ وإنما الهدف من استحضاره هنا هو لغاية علمية أولا، ثانيا لتبان أهمية الوعي بتاريخ المنطقة لفهم ما يجري اليوم من أحداث وصراعات وتنمية معطوبة.

أما اجتماعيا، يمكن الحديث عنه كخلفية تنظيمية للماء، باعتباره مصدر لبناء الأعراف والقيم والمعتقات...، فعنصر الماء منذ القديم سواء منه ما تدفق على الأرض من ينابيع صالحة للشرب أو ما كان معدنيا صالحا للاستشفاء والاستحمام[20] ونتحدث عنه في الواحة في بعد العلاجي، خاصة ما هو مرتبط بالاستشفاء من الأمراض التي قد تصيب الانسان كما كان قائما في منطقة "لالة ممونة". حيث تحج إليه النساء من أجل تحقيق طموحهن في الزواج عبر التبرك، وكنّ في تاريخ مضى يغسلن ملابسهن في ذات المجال الذي يحمل خصائص قدسية، ويتركن ذات الملابس بدعوى أنهن تركن النجاسة وكل ما قد يصيب المرأة من عين شريرة، كما كانت النساء يأتين بأطفالهن من أجل الاستشفاء. وغير بعيد عن هذا المستوى من التحليل يشير كل من الباحثين جمال فزة وحسن احجيج[21] أن العديد من الأحداث تقترن بالحكايات الخرافية التي تجد لها مكاناً دائما في الذاكرة الجماعية، تحكي امرأة من قصر زناكة أن سبب توقف الصراع بين قصرها وقصر الوداغير بشأن عين تزادرت هو أن هذه الأخير تتدفق دماً عند الوداغير، لكنها عندما

[20] المحجوبي عمر، المياه والديانات الوثنية في المقاطعات الافريقية، ملتقى زغوان حول المحيط والمياه، المياه والانجراف بولاية زغوان، تونس 1984، ص131 .

[21] جمال فزة وحسن أحجيج، فكيك الواحة المكلومة: إثنوغرافيات عالم معيش، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2020. ص136.

تصل إلى زناكة تتحول إلى ماء ويصدر تدفقها زغاريد فرحاً. وهذا ما دفع الوداغير إلى التخلي عن تزاد رتكزاناكة.

كما نجد ضريح ''سيدي امحمد اوبراهيم'' بمنطقة تغفرت، الذي كان يشكل إحدى الأضرحة التي كان يلجأ إليها هؤلاء السكان طلباً لعدة مطالب منها الاستشفاء وطلب الغيث والزواج بالنسبة للنساء. ويتفق سكان تغفرت على تقديم الكسكس في الضريح ويأتي سكان القصور المجاورة (ايت معمر، تزكاغين، الزاوية...) لاقتسام ذلك، وأثناء هذه الطقوس يسمونها ''الباروك'' يردد السكان الذين يحرصون أن يكون ذلك في فترة صلاة العصر '' وا حنا متايبين ليك أربي تعفو علينا''. أي نحن نتوب إليك يا الله ونطلب منك العفو، والعفو في هذا السياق هو الإتيان بالمطر خاصة أن هذه الطقوس كانت تقام في الفترة التي يكون فيها الجفاف، وتقول الرواية الشفهية أن هذه الطقوس لا تكتمل حتى ينزل الله الأمطار في عين المكان.

وإذا كنا بالنباهة الكافية أن نطرح سؤال: كيف لعب الصراع الاثني بين المكونات البشرية للقبيلة دورا بارزا في التقسيم والتراتب الاجتماعي للماء؟ فإننا نجد مستوى آخر في قصر أسرير بواحة فركلة إذ لعبت السلطة السياسة دورا بارزا لامتلاك الماء وتقسيمه، وفي الحقيقة يصعب المجازفة للقول أيهما أسبق هل كل من امتلك السلطة السياسية هو الذي يخول له امتلاك الماء، أم أن من امتلاك الماء هو الذي يخول امتلاك السلطة السياسية؟ لكن رغم ذلك يبين الواقع أن كل من امتلك السلطة السياسية كانت له حصة الأسد في الماء والارض، وأن من كان له ماء وأرض كان له نفوذ سياسي في المنطقة، ويتبين ذلك في (عشيرة) القائد العربي وهو أحد القادة الذين حكموا قصر أسرير خلال فترة الاستعمار والذين امتلكوا أكثر من يوم واحد في الماء وهو ما كان يسمى آنذاك ب ''أسطر''، في حين ووزع يوم واحد على جل الفقراء والمساكين آنذاك وهو المسمى ''امشركن'' بمعنى أن العديد من ''الاخسان'' ومعظمهم من الفئات الاجتماعية الفقيرة يشتركون في تقسيم اليوم الواحد وهو ما يوضح أحد مستويات التقسيم السياسي للماء.

أما عن امتلاك البركة ودورها في امتلاك الماء والحديث هنا عن ''سيدي علي أو يوسف'' الذي سبق لنا أن أشرنا إليه، وكان لما قدم الى قصر أسرير لا يمتلك اي شيء غير البركة التي اعتقد بها "أيت اسرير" وهو الأمر الذي مكنه من الحصول على يوم واحد أو '' أسطر'' من الماء وليس من السهل أن يأتي أي

)غريب(وتمنح له هذه الكمية المقدسة والغنية من الماء. لكن للبركة حديث آخر كما نجده في نشر الدين في باقي الأوساط القبيلة)البربرية(الذي اقترن بالصلحاء وشيوخ الزوايا، ولا يخفي بالطبع، ما كانت تعنيه هذه الجولات الصوفية من تصريف لمبادئ الطريقة المتبعة من قبل الزاوية، وبالتالي كسب مزيد من الخدام والاتباع، هذا علاوة على المكاسب المادية ـ وهذا هو الأساس ـ التي كانت تضمنها واجبات الزيارة المستحقة على كل قبيلة وصلها الموكب[22]، وهو نفس الأمر الذي وجدها عند هذا الشخص الذي ادعى بالبركة وكانت تقدم له الهيبات في مقابل در الهيبة في بعدها الروحي، ولعل طلب الغيث وتجديد الدورات المائية أحد تلك الانتظارات التي كانت عند أهل أسرير من سيدي علي أو يوسف.

وفي ذات السياق نجد مولاي عبد العزيز الذي شيد زاويته بقصر أسرير سنة 1062 هـ، وهو أحد الشرفاء الذين قدموا إلى أسرير حيث اعتُقِد في مخيال هؤلاء الساكنة أنه حامل للصلاح والبركة، وحامل للحرمة والشفاعة والقادر على تهدئة الفتن والوساطة والصلح بين الاثنيات المتناحرة، وكان ذلك في حياته وحتى بعد موته بحيث أصبح قبره واليا صالحا ومكانا مقدسا لا يمكن أن تدنس حرمته، ومقصد لتجديد العهود وطلب البركة ورفع الأذى، وكانت هنالك ساقية بقصر أسرير يخصص ماءها في فترة ''عيد المولد النبوي'' لحفدة الشريف مولاي عبد العزيز بتايرزة، وذلك مخافة أن يصيبهم مكروه أو غضب من هذا الولي الصالح، وأكثر من ذلك لا يحق للساكنة أن يلتقطوا ثمار ''البلح ''القريبة من هذه الساقية.

إن هذا الأمر يقودنا للحديث عن الماء في بعده الرمزي الديني، إذ يبدو أن ثقة المحلين في هذا الصنف من الأولياء مرده إلى تأثيرهم الروحي على العامة، فرغم طابعهم (الاسطوري) إلا أن ايمان هذه الاوساط به وبقدرته على جلب البركة جعلتهم موضع احترام عندهم، وفي هذا الصدد يقول بيير بورديو "لقد أصبحت البركة الركيزة الأساسية في تنظيم الزوايا التي تقر سلطة الولي"[23] ثم أن البعد الثقافي في هذا السياق، لا يهتم فقط كيف يتصرف الانسان وإنما كيف ينظر إلى الأشياء، ويروي لنا ''مالينوفسكي '' في هذه الحالة أن النشاطات أو الأنشطة الانسانية وإن كانت تغطيها جزء من العاطفة والتصوف والسحر والأساطير، فإنها

[22] جحاح محمد، نفس المرجع، ص 309 .

[23] طواهري ميلود، "المقدس الشعبي". تمثلات، مرجعيات، ممارسات، الطبعة الأولى 2016، دار الروافد الثقافية، ص 181.

تخدم الحياة اليومية للإنسان فبها يحيا ويعيش، بل إن غريتز ذهب بالقول أن عددا كبيرا من رجال الدين اعتنقوا الدين لهذا الغرض[24].

التحولات السوسيوثقافية لعنصر الماء وانعكاساتها على الواقع الفلاحي

لا يختلف اثنان عن الجهد الذي بذله الانسان الواحي في جلب الماء إلى المنطقة التي يقطن فيها، سواء تعلق الأمر بتشييد الخطارات أو بناء السدود التحويلية أو حفر الآبار... ثم ثقافة استدامة الموارد المائية التي حرص الانسان الواحي بفركلة على استدامها على شكل مجموعة من المؤسسات التقليدية والأعراف ومعارف محلية، فاجماعة مثلاً ليست بحاجة لقوة فيزيقية لتطبيق قراراتها، لأن الضغط الاجتماعي والعار والحشومة يلعبان دورا مهما في تنظيم الحياة المحلية... إذ يبدو ذلك من خلال صمود خطارات لسنوات طوال في ذات الواحة قيد الدراسة ودرعة تافيلالت عموما. ولعل هذه الثقافة لها انعكاس على الفلاحة باعتبارها طريقة حياة وأسلوب في الوجود توحي بالكثير من الدلالات ثقافيا. فهي تفاعل الإنسان مع الطبيعة وخطاب عملي عقلاني مفكر فيه تجاه الأرض والحقول الزراعية، كما أنه اجتهاد من أجل البقاء.

إن الفلاح في الواحة هو دائما في وضع ما بين السماء والأرض تجعله بين رحمة الأولى وكرم وجود الثانية. هكذا يظل الإنسان مشدودا إلى الأولى مسترحما إلى الله وطالبا الاستجابة في أن تتأثر السماء بأمر الخالق فتدر الأمطار الكافية لتحقيق سنة فلاحية وافرة الإنتاج، لان في الأمطار حياة لكل المخلوقات إنسانا وحيوانا وطيورا وفيه ما يضمن البقاء وأن تستجيب الأرض لإرادة الخالق. فإذا كان الله قريب إلى السماء في المخيال الثقافي للواحيين وله القدرة على استمطارها، فإن الانسان قريب إلى الأرض وما عليه سوى الحرث واحيائها لكن شريطة أن يحيل آماله لإرادة الله.

عموما، يلاحظ أن هناك (تحول /انتقال) في طبيعة المزروعات والتقنيات التي كان قد احتك بها الانسان الواحي بفركلة، إذ تم الانتقال تدرجيا في بعض المناطق التي تعرف الاستثمار في قطاع الماء والفلاحة. كما هو الشأن بمنطقة "البور" وبعض الضيعات الفلاحية المنتشرة هنا وهناك في ذات المجال

[24] كليفورد غيرتز، الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة: التطور الديني في المغرب وأندونيسيا، ترجمة أبوبكر أحمد باقادر، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ص102

"الضيعة الفلاحية لبن موح" وظهور (ضيعات) فلاحية تحت تسمية (الموطور) وايضا تَزويد العشارات من الآبار المنزلية وغيرها بالطاقة الشمسية والسقي بالتنقيط وبالتالي يكون الانتقال هنا :

من المضخات التي كانت تعتمد على الوقود والبنزيل إلى استعمال الطاقة الشمسة

من السقي بالسواقي "تاركا" إلى السقي بالتنقيط أو "السقي الموضعى"

من زراعة الخضراوات (اللفت والجزر والطماطم...) إلى الاستثمار في سلسلة نخيل التمر (المجهول) الذي يشكل حاليا رأسمال اساسي في واحة فركلة .

الصور رقم2 : جانب من الضيعة الفلاحية بواحة فركلة

عمل ميداني (غشت 2019)

وبالرغم من هذا الانتقال فإن استعمال السواقي المحملة بمياه الانهار يتم اسغلالها في حالة حمل الأودية بمياه الأمطار خاصة أن هذه السواقي متصلة بالأودية على شكل سدود تحويلية.

ويمكننا قراءة هذا الانتقال انطلاقا من ندرة الموارد المائية التي دفعت بالإنسان الواحي إلى تغيير طبيعة المزروعات والوسائل التي كان يستعملها في حياته اليومية خاصة أن هذه التقنيات المعاصرة (الطاقة الشمسية والسقي بالتنقيط) التي احتك بها الانسان كانت في سنوات التسعينات وهي مرحلة معروفة بندرة الموارد المائية بالمقارنة مع سنوات عرفت بالوفرة. وبالتالي كان الانسان الواحي في أمس الحاجة إلى مزروعات تستجيب لواقع الندرة التي تعرفها هذه المناطق، وهو الأمر الذي تحقق نسبيا مع شجر النخيل (المجهول نموذجا). في حين ما زالت مناطق أخرى تعتمد على هذه الأنظمة التقليدية للماء دون أن تشهد أي تحول في هذا المستوى (تزكاغين وتغفرت نموذجا) . وبالرغم من أن الدولة تجاوزت من خلال تدخلاتها في المجال الواحي نظام الري المحلي والممارسات العرفية المرتبطة به، لكنها لم تراع حساسية الحقوق المائية لدى الفلاحين. وساهمت سياسة الوصول الجديد إلى الماء، التي تستند إلى تشجيع المستثمرين لحفر الآبار الخاصة، في انتشار ممارسات غير مشروعة للمياه الجوفية، على الرغم من أهميتها في خلق سبل العيش

للفلاحين، في مقابل محدودية المعلومة العلمية عن كمية المياه الجوفية في باطن الأرض وطبقات الفرشات المائية وزيادة الطلب على استخدام المياه الجوفية[25].

ونظرا لما تتميز به الزراعات العلفية من مردود والعلاقة الرابطة بينها والانسان والطبيعة والماشية. فقد شهدت الزراعات العلفية تطورا ملحوظا في الآونة الأخيرة خاصة إذا ما علمنا الدورة التي تعرفها الفلاحة بين (الماشية والمزروعات العلفية والانسان) فالماشية تستفيد من الزراعات العلفية (الذرة والفصة والشعير...) وهذه الأخيرة تستفيد من روث (فضلات) الماشية، أما الانسان فيظل المستثمر في تسويق سلاسل الانتاج الفلاحي والحيواني.

إن الفلاحة بواحة فركلة تكاد تكون غريبة في اقتصاد الواحة، فبالرغم مما تطرقنا إليه من امتيازات ثقافة وتطورية ما زالت ثقافة الاستثمار في القطاعين الفلاحي والمائي بعيدة عن الانسان الواحي. فنظرا لانتشار ظاهرتي الهجرة والتجارة لدى السكان بسبب ندرة الموارد المائية والبحث عن فرص الشغل ومتابعة الدراسة...، ثم قلة مصادر التمويل التي من شأنها دعم الفلاحة المحلية. خاصة أن السقي بالتنقيط في غالب الأحيان يتطلب على الفلاح تجهيز أرضه بالتقنيات الحديثة (السقي بالتنقيط، الطاقة الشمسية) من ماله الخاص إلى حين اصدار الإعانات من بعض المؤسسات المهتمة بهذا القطاع، زد على ذلك قلة الدورات التكوينية للإرشاد والتوجيه.

وخلافا للعديد من المجتمعات التي شكل مسارها التاريخي رحلة من القطاع الزراعي إلى الصناعي، ظل الانسان الواحي مرتبط بالهجرة خاصة ما يسميه الأستاذ "إبراهيم حمداوي"[26] من الهامش إلى الهامش، ثم التجارة أو محاولة عيش في ذات المجال إما بعوائد المهاجرين حيث يتكلف مهاجر إلى مدينة ما ــ سواء كانت داخلية أو خارجة ــ بأفراد أسرته النووية وقد تمتد بشكل تضامني إلى الأسرة (الممتدة) تشمل أبناء العمة والعمومة، وللحد من واقع الهجرة بهذه الواحات يدعوا العديد من الباحثين إلى عملية إعادة تأهيل الفلاحين السابقين، عبر الحراك المهني للحفاظ على "جماهير الفلاحين" **masses paysannes**

[25] فوزية برج، بيئوية الفقراء: ديناميات التكبف وممارسات العيش: مقاربة أنثروبولوجية، عُمران للعلوم الاجتماعية، العدد 27 – المجلد السابع- شتاء 2019، ص72.

[26] حمداوي ابراهيم ودحمان محمد، الواحات المغاربية : المجال والمجتمع والثقافة، ابراهيم حمداوي الواحة من القصور إلى التمدن : نموذج قصور تزكاغين بفركلة جهة درعة تافيلالت، مطابع الرباط نت الطبعة الاولى2019، ص9.

والبلدان التي لا يزال الاقتصاد الزراعي فيها مهيمنًا[27]، تحت ذريعة الحفاظ على التوازن البشري بين المجالين القروي والحضري.

ختاما، يمكننا القول أن الانسان الواحي يعيش واقعه الرمزي من خلال الوقائع المادية التي شيدها عبر التاريخ، على اعتبار أن وفرة وندرة الماء في هذه المجالات، مرتبطتان بالعديد من الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي بها يفسر سكان الواحة حياتهم اليومية المتسمة بالندرة التي تلاحق هذه المناطق. فالماء يشكل مصدر لبناء الأعراف والقيم والمعتقات...كما أنه لا يعزو فقط إلى تلك الأنظمة الاجتماعية في بعدها المادي المعروفة (الخطارات، الابار، السواقي...) وإنما تمتد أيضا إلى **métalangage**'' أي تلك اللغة المتعالية. فرحلة الانتقال من اللغة الطبيعية للماء إلى اللغة الرمزية أو من اللغة العادية إلى اللغة المتعالية على اعتبار أن المجال الرمزي هو مجال لتراكم التمثلات الاجتماعية؛ هي رحلة الكشف عن ما يشغل التفكير أو نظرة الانسان الواحي إلى عالمه المعيش بلغة التأويليين.

بينما ينعكس واقع الندرة والوفرة على العديد من الأنشطة الثقافية والاقتصادية والزراعية التي تعاطى معها الانسان الواحي في سياقات تاريخية قديمة، خاصة سلاسل الإنتاج الفلاحي حيث اضطر الإنسان الواحي بفعل التغيرات المناخية والجفاف والندرة...، الانتقال من مزروعات أكثر استهلاكا للماء إلى مزروعات أقل استهلاكا، كما نجد نفس الأمر بالنسبة للوسائل التقليدية لجلب وتوزيع وتقسيم الماء.

- البيبليوغرافيا :

- جمال فزة وحسن أحجيج، فكيك الواحة المكلومة: إثنوغرافيات عالم معيش، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2020.
- حمداوي إبراهيم، دحمان محمد، الواحات المغاربية : المجال والمجتمع والثقافة، ابراهيم حمداوي الواحة من القصور إلى التمدن : نموذج قصور تزكاغين بفركلة جهة درعة تافيلالت، مطابع الرباط نت، الطبعة الاولى2019.

[27] Bertrand Hervieu et François Purseigle, « Pour une sociologie des mondes agricoles dans la globalisation », *Études rurales*, 183 | 2009,p 177-200.

- حنان حمودا، "الماء كمنشط أنثروبولوج لانتاج الطقوس بواحة بوسكورة جنوب المغرب" , موقع انتروبوس (بالتصرف) **http://www.aranthropos.com**
- بل الفايدة عبد العزيز،''الماء بين المقدس والمنفعة العامة في شمال إفريقيا ما قبل الاسلامية على ضوء النقائش''، ''الماء في تاريخ المغرب'' جامعة الحسن الثاني عين الشق: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، 1999، ص33)بالتصرف(.
- ذ.محمد استستو، الماء في تاريخ المغرب: أية علاقة؟، سلسلة الندوات رقم 10في موضوع ''الماء في تاريخ المغرب'' جامعة الحسن الثاني:عين الشق منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ، 1999.
- طواهري ميلود، "المقدس الشعبي". تمثلات، مرجعيات، ممارسات، الطبعة الاولى 2016، دار الروافد الثقافية.
- كليفورد غيرتز، الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة: التطور الديني في المغرب وأندونيسيا، ترجمة أبوبكر أحمد باقادر، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.
- لحسن آيت الفقيه إملشيل، جدلية الانغلاق والانفتاح، ضمن إصدارات مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، يوليوز 2001،
- لوراس ميلن وماجيري ميلن، الماء والحياة، ترجمة ثابت قصب يحي وعياد بباوي، مؤسسة العرب، ط الأولى, القاهرة 1966،.
- المحجوبي عمر، المياه والديانات الوثنية في المقاطعات الافريقية، ملتقى زغوان حول المحيط والمياه، المياه والانجراف بولاية زغوان، تونس 1984 .
- معجم المعاني الجامع، اللغة العربية المعاصرة، الرائد ،لسان العرب ،القاموس المحيط. قاموس عربي عربي.
- مقدّمة سفر التكوين، الإصحاح الأول، التكوين الأول.
- مهدان امحمد، الماء والتنظيم الاجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، جامعة ابن زهر- أكادير، 2012.
- باسكون بول، ''الأساطير والمعتقدات بالمغرب''، مجلة بيت الحكمة، السنة الأولى، العدد الثالث، أكتوبر الطبعة الثالثة1986.

✓ لائحة المراجع الأجنبية:

- **Barbara Casciarri et Mauro Van Aken**, **''Anthropologie et eau(x) affaires globales**, **eaux locales et flux de cultures''**, **Association française des anthropologues**, **journal des anthropologues**, **18 juillet 2013**, **p16**.
- **Bédoucha G.**, **2011**, ***Les liens de l'eau. En Brenne, une société autour de ses étangs***, **Paris**, **co-édition QUÆ Éditions et Editions de la Maison des sciences de l'homme**, **collection Natures sociales**, **688**.
- **Bertrand Hervieu et François Purseigle**, « **Pour une sociologie des mondes agricoles dans la globalisation** », ***Études rurales***, **183 | 2009**..
- **Mezzine**, **Larbi** : « **Le Maroc du sud-est de 1631 à 1012** » **thése de doctorat d'état**, **tom II université de paris I panthéon Sorbonne**, **2007**, **Bibliothéque du centre des études africaines**.